اللّسانيّات

مجلّة محكّمة في علوم اللّسان وتكنولوجيّاته

يصدرها مركز البحث العلميّ والتّقنيّ
لتطوير اللّغة العربيّة - بالجزائر

عدد مزدوج خاصّ بأعمال
الملتقى العلميّ الدوليّ الثامن للقاموسيّة حول
بنية النّصّ القاموسيّ

المنعقد بالجزائر
يومي 27 و 28 نوفمبر 2011

العددان : التاسع عشر والعشرون
2013 - 2014

المقاربة الاشتقاقيّة في معالجة المداخل القاموسيّة وأثرها في بنية النّصّ القاموسيّ

إبراهيم بن مراد

جمعيّة المعجميّة العربيّة

وحدة البحث : مفردات العربية بين المعجم والقاموس

تونس

الملخّص

للمقاربة الاشتقاقية في معالجة المداخل القاموسية في القاموسية العربية وجوه : نجدها في القواميس العربية القديمة والحديثة التي اتّبع فيها مؤلفوها نظام الترتيب بحسب حروف الهجاء، سواء اعتبر في ترتيب المداخل الرئيسية فيها مبدأ الجذر أو مبدأ الجذع الرئيسي. والجامع بين هذه القواميس جميعا هو انبناء النص القاموسي فيها على مدخل رئيسي تتفرع عنه جذوع فرعية هي المشتقات المختلفة، وخاصة المشتقات الفعلية والاسمية والوصفية، وتكوّن هذه الجذوع الفرعية أو المشتقات المداخل الفرعية. ولكن القواميس العربية تكاد تقتصر في المعالجة القاموسية للمداخل الرئيسية والفرعية على تحديد المعنى الذي يفيده المدخل معتبرة التعريف بالمدخل هو شرحه. وقد نتج عن هذا قلةُ العناصر المكونة للنص القاموسي فكان نصّا بسيط البنية.

وقد طبقت هذه المقاربة في القاموسية الأوروبية الحديثة ولكن المعالجة القاموسية للمدخل سواء كان رئيسيا أو كان فرعيا قد أدت إلى تعدّد العناصر المكونة للنص القاموسي الواحد؛ وإذ أن النص القاموسي الواحد يتكون عند تطبيق المقاربة الاشتقاقية من مجموعة من النصوص فإن بنية النص القاموسي تصبح بنية معقدة. وهذان الصنفان من البنية -البسيطة والمعقدة- في علاقتهما بالمقاربة الاشتقاقية مطبّقة على القاموسية العربية والقاموسية الأوروبية الحديثة، هما اللذان اهتممنا بهما في هذه المداخلة.

Résumé

L'approche dérivationnelle est -avec les approches diachronique et synchronique- l'une des approches appliquées, en lexicographie moderne, dans la confection des dictionnaires et dans le traitement des entrées lexicales. Cependant, elle a des origines très anciennes dans la tradition lexicographique arabe puisqu'elle était -et elle est encore- suivie dans les dictionnaires arabes adoptant le système de la racine ou de la base simple (l'unité lexicale simple non affixée) dans le classement des entrées du dictionnaire. En effet, on trouve dans les deux systèmes une entrée principale (une racine ou une base simple) suivie d'une série d'entrées secondaires qui sont surtout des dérivés nominaux, déverbatifs ou adjectivaux. En lexicographie moderne -européenne en particulier- ce sont les dérivés eux-mêmes qui constituent les entrées principales, et la définition de chaque entrée est composée de plusieurs éléments (de neuf à treize) qui constituent ensemble la structure de l'article du dictionnaire. Mais quand on applique l'approche dérivationnelle, comme c'est le cas dans le Larousse de la langue française Lexis (1979), la structure de l'article du dictionnaire devient complexe parce qu'on est en présence de plusieurs entrées : une principale et une série d'entrées secondaires qui sont ses dérivés, et chacune de ces entrées est accompagnée des éléments qui constituent aussi bien sa définition particulière que l'article qui lui est propre. Mais cette richesse que nous offre la lexicographie occidentale est absente de la lexicographie arabe, classique et moderne. En fait, il n'y a qu'un seul élément qui se répète dans chaque définition et avec chaque entrée : l'explication du sens, qui, cependant, pourrait être accompagnée -mais dans des cas bien limités- d'informations d'ordre grammatical et de citations ou d'exemples. Les questions relatives à l'application de cette approche en lexicographie arabe et en lexicographie occidentale font l'objet de notre communication.

Abstract

The derivational approach is -with the diachronic and synchronic approaches- one of the approaches used in modern lexicography in the making of dictionaries and in the treatment of lexical entries. However, it has ancient origins in the Arabic lexicographical tradition as it was -and still is- followed in Arabic dictionaries adopting the system of the root or simple basis (simple lexical unit without affixes) in the classification of dictionary entries. Indeed, there are two systems in one main entry (a root or a single basis) followed by a series of secondary entries that are mostly nominal, deverbative, or adjectival derived. In modern lexicography -especially European-, the derived themselves are the main entries, and the definition of each entry is composed of several elements (nine to thirteen) which together form the structure of the dictionary entry. But, when we apply the derivational approach, as is the case in Larousse de la langue française Lexis (1979), the structure of the dictionary entry becomes complex because we are in presence of multiple inputs: one primary and a series of secondary entries that are its derived and each of these entries is accompanied by the elements that constitute the specific definition of the principle entry as well as a section for its derived. But this richness found in Western lexicography is absent from the classical and modern Arabic lexicography. In fact, there is only one element that is repeated in each definition and each entry: the explanation of meaning, which, however, could be accompanied -but in limited cases- with details of grammatical information and quotations or examples. Issues related to the application of this approach in Arabic lexicography and Western lexicography are the subject of our study.

تقديم

عرفت القاموسيّةُ الحديثةُ -وخاصة في أوروبا، حيث يمثل التأليفُ القاموسي عادة تطبيقًا لنظرية معجميّة ما- عددا من المقاربات المنهجية التي طبقت في المعالجة القاموسية للوحدات المعجمية التي تمثّلُ المداخلَ في القاموس، ولعلّ أشهر تلك المقاربات وأعمقَها تأثيرا في التأليف القاموسي الأوروبي مقاربتَان :

- الأولى : هي المقاربة الآنيّة (approche synchronique) التي تعامِل الوحدةَ المعجميّة المدخلَ على أنها وحدة في الخطاب يتحدّدُ معناها من خلال السيَاق الذي تكون فيه، وتُفْصَلُ بذلك عن محيطها المعجميّ، وعن عائلتها الاشتقاقيّة، وحقْلِها الدلالي الذي تنتمِي إليه، وماضيها التاريخيّ في الاستعمال اللغوي، وهذا ما يُؤدّي إلى تجزئة الوَحدة المعجميّة الواحدة ذاتِ المعاني القليلةِ أو الكثيرة إلى وحدات معجميّة منفصِلة، وخاصة إذا تباعدت المعاني التي تحملها المفردةُ وانفصلت عن بعضها بطريقةٍ يصعبُ معها التأليفُ بينها إلاّ بالنَّبْش عن العلاقات بين تلك المعاني في تاريخ اللغة؛ وإذن فإنّ المعنى الواحدَ المستقلّ أو الشبيهَ بالمستقلّ يسمحُ بمعاملة الدالّ الذي يحملهُ معاملة الدليل اللغويّ الجديدِ الذي تربطه بالدّوالّ المثيلةِ له الحاملة لمعانٍ أخرى معاملةَ المشْتركَات اللفْظية (homonymes) التي تشتركُ في التلفُّظ وتَختلفُ في المعاني.
- والمقاربة الثانية : هي المقاربة الزمانية (approche diachronique) التي تعامِلُ الوحدةَ المعجميّة على أنّها وحدة في اللغة قد تَقِلّ معانيها في المعجَم وقد تكثُرُ، ولكنّ قلتَها أو كثرتها لا تنْفيان انتماءَ تلك المعاني جميعًا إليها، ولا تُنْكرَانِ أن الجماعةَ اللغَويّة قد حمّلتْها تلك المعانيَ في مراحلَ مختلفة من تاريخِ استعمالها لها، ولا تفصلان تلكَ الوَحدةَ المعجمية عن محيطها المعجميّ وعن عائلتِها الاشتقاقيّة وحقْلها الدلاليّ وانتمائها التّاريخيّ، ولا تَغمِطُها حقّها في أن تكونَ من المشترك الدلاليّ (polysémie) الذي يَعني أن تكونُ المفردةُ واحدةً -من حيْث الأصْلُ الاشتقاقيّ ومن حيث الانتماءُ المقُولي خاصّة- وأنّ تتعدّدَ مع ذلك مَعانيها[1].

على أن القاموسية الأوروبيةَ قد عرفت بدايةً من نهايَة السّنوات السّبْعين من القرنِ العشرين مقاربةً أخرى قد وفّرتْ مجالاً مُهمًّا للتوفيق بين المقاربتيْن الآنيّة والزمانيّة، هي المقاربةُ الاشتقاقية التي تبْني النصَّ المعجميَّ على وحْدة مُعجَمية مَدْخَلٍ -هي في معظم الحالات مُفردةٌ، أي "لَفْظٌ" أو "كَلِمَةٌ" (mot) حسب الاستعمال التقليديّ- ذاتِ معنًى أصْليّ تتولّدُ عنْه مَعانٍ فرعيّةٌ جزئيّة تُذكرُ متتاليةً مُرقّمَة، وتتفرّعُ عنها مشتقاتٌ اسميّة وفعْلية ووصفيّة وظرفيّة، وتُصاغ انطلاقًا منها وحداتٌ معجميّة مركّبةٌ أو معَقّدة تُذْكَرُ كُلّها متتابعةً في النّص المعْجميّ تحتَ المدْخَل الرئيسيّ.

وقد طبّقَتْ هذه المقاربة في القاموسيّة الفرنسية منذ سنة 1979 في قاموسيْن قد صدَرا في نفس السّنة (1979) هما : "لاروس اللغة الفرنسية لِكْسيس"[2] (Larousse de la langue française Lexis) الصّادرِ عن مؤسّسة لاروس (Larousse) القاموسيّة الفرنسيّة بإدارة جان دوبوا (Jean Dubois)، و"قاموس الفرنسيّة التأصِيلي"[3] (Dictionnaire étymologique du français) لجاكلين بيكوش (Jacqueline Picoche)، الصادرِ عن مؤسّسَة روبار (Robert). وليست هذه المقاربةُ بالجديدة في التأليفِ القاموسيّ في الحقيقة، بل هي -كما سنبيّن في الفقرة التالية- قديمةٌ قد عرفتْها القاموسيّة العربيّة منذ بداياتها وتواصلتْ معها حتّى العصرِ الحاضرِ، وهي التي نريدُ أن نهتمّ بها في هذا البحث، لندرسَ :

(1)- الوجوه أو المظاهر التي عُرِفَتْ منها؛

(2)- القضايَا المنهجيّة التي تثيرها؛

(3)- أثرها في بنْية النصّ القاموسي.

1. في وُجُوه المقاربة الاشتقاقية أو مَظاهرُ المقاربة في القاموس

المقاربة الاشتقاقية في معالجة المداخل القاموسية هي المقاربة القائمَة على تفْريع المدخَلِ الرئيسيّ الذي يتصدّر النصّ القاموسيَّ إلى مداخلَ فرعيّة

هي مشتقاتُه، سواءٌ كان فعلاً تتفرعُّ عنه بالاشتقاق أفعالٌ وأسماءٌ وصفاتٌ، أو كان اسمًا تتفرّعُ عنه أفعالٌ وأسماءٌ وصفاتٌ، أو كان صفةً يُشْتقُّ منها الفعلُ والاسمُ والصفةُ، بل قد يكون المدخلُ ظرفًا -في العربيّة مثلاً- فتشتقُّ منه الصفةُ، وقد يكونُ أداةً فيشتقّ منها الفعلُ والاسمُ والصفةُ[4]. وقد تتخَذُ هذه المشتقاتُ أصولاً -في المعْجم الفرنسيّ والمعجَم العربيّ مثلا- لصوْغ وحداتٍ معجميّة مركّبة تجدُ مكانها هي أيضا في القاموس العربيّ والقاموس الفرنسي رغم أن القاعدةَ التي وُلّدَتْ بها وسمحتْ لها بأن تنتميَ إلى اللُّغة وإلى المعجَم ليست الاشتقاقَ بل هي التّرْكيبُ (composition). ولكنَّ هذه مسألةٌ أخْرى تتطلّبُ معالجةً خاصّة لما تثيره الوحداتُ المعجميّةُ المركبةُ والمعقّدة والعبَارية من القضايَا[5].

على أن ما يعْنينا بالدرجَة الأولـى هي الوجوهُ التي تَظهرُ بها المقاربةُ الاشتقاقيّة في القاموسيّة العربية. والوجوهُ التي تكونُ عليها تتأثّرُ إلى حدّ كبير بطبيعة المدْخَل القاموسيّ وبالمنْهَج الذي يَتّبعُه مؤلفُ القامُوس في ترتيبه. ونعلَمُ أن مناهجَ الترتيبِ في القواميس العربية قابلةٌ للتصنيف إلى صنفين كبيريْن يقبلانِ بدورِهما التفريعَ إلى أنـواع، هما الترتيب بحسب المواضيع والترتيب على حروف الهجاء.

وأوّلُ الصنفين إذن هو التّرتيبُ بحسبِ المواضيع أو بحسبِ الحقُول الدّلالية، وتُسمّى القواميسُ التي يُطبّقُ فيها هذا الصنفُ في اللسانيّاتِ القاموسيةِ الفرنسيّةِ "قواميسَ تماثليّة" (dictionnaires analogiques) لأنها قائمَةٌ على "التّماثُل" (analogie) الذي يعتمدهُ مؤلفُ القاموس للجمْع بين عددٍ من المعاني يراها متماثلةً في إحالتِها إلى أشياءَ أو مَوجوداتٍ قد تكون مختلفة، ولذلك تنْسبُ القواميسُ الترادفيّةُ (dictionnaires synonymiques) إلى هذا النّوع من القوامِيسِ أيضا[6]. ولا يَسمَحُ هذا المنهجُ للوحَدات المعجميّة المداخلِ بأن تَستقلَّ بذاتها في المداخل المخَصَّصة لها بل هي تُعَدّ مداخلَ فرعيّةً تابعةً لمدخلٍ رئيسيّ كبيرٍ هو الموضوعُ الذي تنْدَرجُ تحته، وهذه المداخلُ

الفرعيّة تُفسِّرُ أو توضّحُ وتحلّلُ ذلك المدخلَ الرئيسيّ الذي تَتْبَعُه، ولذلك لا تكون لها في أصلِ استعمَالها في القاموسِ في الغالب علاقَةٌ بالمقاربَة الاشتقاقية بالمفهوم الصرفِيِّ للاشتقاق، بل إنّ علاقتها بالمدْخل الرئيسيّ -أيْ بالموضوع- علاقة تَضَمُّنٍ لأنها مندَرِجةٌ تحتَه انْدراجَ المتَضَمَّن (hyponyme) تَحتَ المتَضَمِّنِ (hyperonyme)، وعلاقة التضمُّن علاقةٌ دلاليّةٌ (relation hypo - hyperonymique) خالصة في الدّرسِ اللسَاني الحديث.

ولو نظرْنا في تطبيق هذا المنْهَج في أقْدَم القواميسِ العربية المرتّبةِ بحسب المواضيع -وهو "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم الهروي (ت. 224 هـ/ 838 م)- لوجدنا أنّ البابَ الأول منه في "تَسْمية خَلْق الإنْسانِ ونُعُوته"[7]، والبابُ مشتملٌ على المفردات التي تنتمي إلى هذا الموضوع مفسّرة، ومثالها «المرادِغ : ما بين العنق إلى الترقوة، واحدتها مَردَغَة»[8]؛ و«الكَتَدُ : ما بين الكاهِل إلى الظهْر؛ والثَّبَجُ مثلُه»[9]؛ و«البُلْعُومُ : مَجْرى الطعَام في الحَلْق»[10]. ويصعبُ أن نتحدّثَ في هذا المقامِ عن نصّ قاموسيّ إلاّ إذا تناولنَا الموضوعَ كلّه واعتبرْنا مختلفَ المفرداتِ مداخلَ فرعيّة كما ذكرنَا سابقا.

وأمّا تأثيرُ طبيعةِ المدْخلِ القاموسيّ فيرجعُ إلى أن المداخلَ أيضا قابلةٌ للتّصنيف؛ والمشهورُ منها صنفان، هما المداخلُ الرئيسيّة التي تردُ في صدْر النصّ القاموسيّ، والمداخلُ الفرعية التي ترد داخل النصّ القاموسيِّ تابعةً تبعيةً ما -اشتقاقية أو دلاليّة- للمداخل الرئيسية. على أن أهمَّ ما ينبغي تحقُّقُه في المفردة كي تصلحَ لأن تكونَ مدْخلاً رئيسيّا أو مدْخلاً فرعيّا هو استقلالها في اللغَة، الذي يؤدّي إلى استقلالها في الخطابِ أيضا. فلكيْ تكون الوحدةُ المعجمية البسيطةُ أو المفردة مَدخلاً مستقلاًّ ينبغي أن تستقلّ بدلالتِها التي تمكِّنها من أن تستحقّ التعريفَ لذاتها، وأن تستقلّ بشكلها -وخاصة بانتمائِها المقولي- الذي يمكِّنها من أن تتَّخذَ لها حَيّزا خاصّا بها بين بقية المفرداتِ المداخلِ في القاموس. فإن للمُفرداتِ أربعَ خصائصَ تمييزية أساسيَّةٍ مُطلقةٍ واجبَةِ الوجود فيها تُحَقّقُ لها خصيصةً نمطيّةً هي خصيصة

التفرّد[11]، والخصائصُ الأربعُ هي التأليفُ الصوتي والبنيةُ الصرفية والانتماءُ المقوليُّ والدلالةُ المعجمية أو المغْزَى، ومما يبطل خصيصةَ التفرد صوتيًا الاشتراكُ اللفظيّ، ومما يبْطلُ خصيصةَ التفرّد دلاليًا الترادفُ، ولكن فقدانَ المفردة لتفرّدها نتيجةَ افتقادها لإحدى الخصيصتَيْن المذكورتَيْن لا يمنعُها من الاستقلال بمدخَل يُخَصّصُ لها لأنّ خَصيصةَ الانتماءِ المقولي[12] لا تقلُّ أهميةً عن الخصيصةِ الدّلاليّة لتَكْتَسِبَ المفردةُ استقلالَها في القامُوس.

وخاصيّة استقلالِ المفردة بالمدخل في القاموس نتيجةَ تفرّدها تتَحقّق بيسر بتطبيق المنهجِ الثاني في الترتيب، أي الترتيبُ على حروفِ الهجاء. وهذا المنهجُ هو الذي يَسْمحُ للمقاربَة الاشتقاقيّة بأن تتّخذ وجوهًا في القامُوس. ولكنّ المسألةَ ليست هينَةً بالدّرجة التي نتَصوّرها لأنّ خصيصةَ الانتماءِ المقوليّ في المداخل الرئيسيّة في القامُوسِ العربيّ عامةً منذ القديم لا تأثيرَ لها، لأنّ المدخل الرئيسيّ الذي تقوم عليه بنيَةُ النصّ القاموسِيّ في تلك القوامِيس غالبًا ما يكون جذرًا (racine = root)؛ والجـذرُ في حَقيقته مركّبٌ صوْتيّ صَامِتي (consonantique) ليسَتْ له بالمفردات التي تنْدرجُ تحتَه في القامُوس عَلاقة اشتقاقيّة، لأن عمليّة الاشتقاقِ لا تتمّ من الجـذرِ بل تتمّ من الجذْع (base = stem)، ولذلك فإنّ الأصولَ الجذْعيّة -وهي الأصولُ الاسْميّة والفعليّة والوصفيّة والظرفيّة والأدويّة، نسبةً إلى الأداة- هي الأصولُ الاشتقَاقيةُ على الحقيقَة. وما يَكونُ بين الجذْر والمداخِلِ الفرعيةِ التي تندَرجُ تحتَه من عَلاقَة هي علاقَةُ تولُّدٍ صَوتيّ افْتراضيّ لأنّ الجذْر كما ذكرْنا مركّبٌ صوتيٌّ صامتيٌّ قد أضيفتْ إلى الصّوامتِ فيه الصوائتُ (voyelles) وأصبحَ له نتِيجةً لذلك امتِدادٌ في الاستعْمَال.

ولكنّ ما يتولّد تولّدًا صوتيًا افتراضيًا من الجذْر هو ما نسمِّيه "الجذعَ الرئيسيّ" الذي يَرتبطُ مباشرة بالجذر، ومثال ذلكَ "ذَهَبَ" من مَقولَة الفعْل و"ذَهَبٌ" من مَقُولَة الاسْم في علاقَتهما بالجذر ذ هـ ب√. ولا شكّ أن العلاقة بين الجـذر والجـذع الرئيسيّ المتولد عنه افتراضيًا علاقة صوتيّة، ولكنّ

المولّدات المتفرّعَةَ عن المدْخَل الرئيسيّ مولداتٌ بالاشتقاق، لذلك يمكن لنا أن نعتبرَ المقاربة المتبعةَ في القوامِيس القائمَة على اعتمادِ الجذورِ مداخلَ رئيسيَّة مقاربةً اشتقاقيّة. وهذا ما يسمحُ لنا بأن نتحدّث عن الوُجوه التي تكُونُ لهذه المقاربة، أو عن المظاهرِ التي تظهرُ بها.

ويمكن أن نتبيّنَ في القاموس العربيّ القائم على نظام الجذْرِ ونظام حروف المعْجَم في الترتيبِ عددًا لا بأس به من الوجُوه أو المظَاهرِ هي التيَ تتَحكّمُ في بَنْيَنَةِ (structuration) النصّ القاموسيّ : منها ما نجدُه عند أحمد بن فارس في قاموسِه "مقاييس اللغة" الذي بناه على الأصْل والفرع، والأصلُ هو الجذرُ الذي يحمل معنًى مركزيًا يتوزّعُ على مختلف المداخِل الفرعيّة المتولّدَة عنه؛ ومثال ذلك "الهمزة والواو والباء" -أ و ب√- «لها أصلٌ واحدٌ وهو الرّجوعُ، ثم يُشتَقُّ منه ما يبعدُ في السّمع قليلا، والأصلُ واحِد»[13]؛ و"الهمزة والذال والنون" -أ ذ ن√- لها «أصلان متقاربان في المعنى، متباعدان في اللفظ، أحدهما أُذُنُ كلّ ذي أُذُنٍ، والآخر العِلْمُ، وعنهما يتفرّع الباب كلّه»[14]؛ و"الهمْزة والثاء والراء" -أ ث ر√- «له ثلاثة أصُول : تقديمُ الشيء، وذِكْرُ الشيء، ورسم الشيء البَاقي»[15]؛ و"الهمزةُ والراء والباء" -أ ر ب√- «لها أربعة أصول إليها ترجع الفروع : وهي الحاجة، والعقل، والنصيب، والعقْد»[16]؛ و"الهمزة والجيم واللام" -أ ج ل√- وهو «يدلّ على خمس كلمات متباينة، لا يكاد يمكن حملُ إحداها على واحدة من جهة القياس، فكل واحدة أصلٌ في نفسها»[17].

وبعد أن يُجْمِلَ ابن فارس القولَ كما رأينا في ما يتصل بالجذر من أصولٍ يفرّعُ القول فيها بذكر مختلف الأصول وما يتفرّع عنها بالاشتقاق، ومثالُ ذلك الأصولُ الخمْسةُ المتفرعة عن الجذر الأخير -أ ج ل√- وهي "الأجَلُ، غايةُ الوقت"، و"الإجْل، القطيعُ من بَقر الوَحْش"، و"الأجْلُ، مصدرُ أَجَلَ عليهم شرّا أي جَناه"، و"الإجْلُ، وجع في العُنُق"، و"المأْجَلُ شبهُ حوض واسعٍ يُؤَجَّلُ فيه ماء البئر أو القناة أيامًا ثم يُفَجّر في الزرع"[18].

ومن الوجوه ما نجده عند نشوان بن سعيد الحمْيري في قامُوسه "شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلُوم"، وقد بناه على الصيغ الصرفيّة التي تَنتَمي إليها المشتقاتُ الاسميّة والفعليّة، المجرّدة والمزيدَة، التي تأتي على مختلف الأوزان من الأصول الجذْعيّة؛ فإنّ المداخل لا ترد عنده مستقلة بل ترد تابعة لباب جامع قوامه حرفان ثم يُذكر معهما ضمن الباب ما يرد بعدهما؛ وهو يتبع في ترتيب المداخل الفرعية ضمن الباب جملة من المبادئ أهمها :

(1)- تقسيم المداخل إلى أربعة أصناف هي (أ) الأسماء؛ (ب) مزيدات الأسماء؛ (ج) الأفعال؛ (د) مزيدات الأفعال.

(2)- التدرّج في ذكر مَداخِل كلّ قسْم حسب الأنماط الصيغية أو الصيغ الصرفية التي تنتمي إليها.

(3)- ذكر مختلف الجذوع المتكوّنة من الحرفين الأصليّين وما بعدهما -وقد يتكون الجذع من ثلاثة حروف أصول أو من أكثر من ثلاثة- تحتَ الأنماط الصيغية التي تتبعها .

ومن أمثلة هذا التصنيف "باب الهمزة والثاء وما بعدهما"(19). والصنف الأول من المداخل هي المداخل الاسْمية، وهي من الأنماط الصيغية "فَعْلٌ" -وتحته "أَثْرٌ" و"أَثْلٌ"، و"فُعْلٌ" وتحته "أُثْرٌ"، و"فِعْلٌ" وتحته "إِثْرٌ" و"إِثْمٌ، و"فَعَلٌ" وتحته "أَثَرٌ"؛ وأمّا مزيدات الأسماء فمنها "مَفْعَلٌ" و"مَفْعَلَةٌ" ويندرج تحتهما "مَأثَمٌ" و"مأْثَرَةٌ"، و"مفْعولٌ" وتحته "مأْثورٌ"، و"فاعِلٌ" وتحته "آثِرٌ"، و"فُعَالٌ" وتحته "أُثَالٌ"، و"فَعِيلٌ" وتحته "أَثِيرٌ" و"أثِيلٌ" و"أَثِيمٌ"؛ وأما الأفعال فمنها "فَعَلَ يَفْعُلُ" وتحته "أَثَرَ" يأْثُرُ الحديثَ أي رواه، و"فَعَلَ يَفْعِلُ" وتحته "أَثَر" و"أَثَفَ" و"أَثَمَ" و"أَثَى"، و"فَعِلَ يَفْعَلُ" وتحته "أَثِمَ"؛ وأما مزيدات الأفعال فقد ذكر المؤلّفُ منها "أَفْعَلَ" وتحته "آثَرَ" و"آثَمَ"، و"فَعَّلَ" وتحته "أَثَّرَ" و"أَثَّفَ" و"أَثَّمَ"، و"اسْتَفْعَلَ" وتحته "استأْثَرَ"، و"تَفَعَّلَ" وتحته "تَأَثَّفَ" و"تَأَثَّلَ" و"تأَثَّمَ".

ومن المظاهر أو الوجوه ما نجده بصورة أجلى في القواميس التي رتّبت مادتّها بحسب الجذور سواء اتُّبِعَ فيها النظامُ المخرجيّ في الترتيب مثل كتاب العين للخليل بن أحمد، أو النظامُ الألفبائيّ إما بحسب الحرف الأخير من الجذر مثل ما هو مُتَّبَعٌ في كتاب الصحاح للجوهري، وإما بحسب الحرف الأول منه مثل ما هو مُتَّبَعٌ في أساس البلاغة للزمخشري وجل القواميس العربية الحديثة؛ بل إنّ هذه المقاربة قد وَجدَتْ طريقَها إلى القواميس الأوروبيّة مثل "قاموس الفرنسيّة المعاصرة" (Dictionnaire du français contemporain) الصادر عن مؤسسة "لاروس".

والجامعُ بين هذه القواميس جميعًا هو انبناءُ النص القاموسي فيها على مَدخل رئيسيّ قد يكون جذرا وقد يكون جذْعا رئيسيّا -أي مفردة خالية من الزوائد- وقد يكون صيغة صرفيّة، تتفرّع عنها جذوعٌ فرعية هي المشتقات المختلفة، وخاصة المشتقات الفعلية والاسمية والوصفية. على أنّنا نريد أن نمثّل لهذه الوجوه أو المظاهر بوجه واحد هو الذي نجده في كتاب "العين للخليل بن أحمد".

أقام الخليل نظامَ التأليف في كتاب العين على الجذور، لكنه اعتمدَ فيها الترتيبَ الصوتي المخرجي وطبّق في حصرها رياضيّا مبْدأ التقليب. وقد نتج عن اعتماد هذا المنهج أن أصبحت المداخل في كتاب العين أرْبعةَ أنواع :

- أولها : كنّا سمّيناه في بحث سابق "المدْخلَ الأمّ" و"الجذر الرئيس"[20] (archiracine) وهو الذي يظهر في عناوين أبواب "الكتُب" التي يتألف منها القاموس، وهذا النوع من المداخل ناتج عن تقسيم الخليل كتابه إلى "كتُبٍ" إذ جعل لكلّ حرف من حروف المعجم "كتابا" مثل "كتاب العين" و"كتاب الهاء" و"كتاب الغين"؛ ثم قسّم الكتبَ إلى أبوابٍ ذكر في كلّ واحد منها الحرفَ المقدّم وما يليه في الترتيب المخْرجيّ من الصوامت في الثنائي والثلاثي وما زاد عليهما. ومثال ذلك "باب العين والكاف" و"باب العين والجيم" في الثنائي المضاعف؛ و"باب العين والهاء والقاف" و"باب العين والهاء والكاف"

في الثلاثي الصحيح. ولذلك فإن جذورا مثل ع ك√ ، ع ج√، ع هـ ق√، ع هـ ك√ تعدّ جذورا رئيسة أو مداخل أمّهات؛ وتَتَالِي هذه المداخل مُخْضَعٌ لترتيبٍ صوتِيّ محضٍ وليس لأسبقيّة تاريخيّة أو دلاليّة.

- والنوْع الثّاني : كنّا سَميناه "المدخل الرأسَ"[21] وهو الجذْر أو "الوَجْه" الواحِدُ الحاصل من تَقْليب "الجذر الرئيس" أو "المدخَل الأمّ"، وقد سميناه "مدخلا رأسا" لأنه يردُ على رأسِ المادة اللغوية المفسّرة التي تولّدت عنه، وهذا النوع هو الذي نُسمّيه الآن "المدْخَل الرئيسِي" (entrée principale). ويصل عددُ هذه الوجوه التي تصبح مداخل رئيسية -نظريّا حسب ما تسمح به قواعد التقليب- اثنين في الثنائيّ، وستة في الثلاثي، وأربعة وعشرين في الرباعي، ومائة وعشرين في الخماسي؛ ولكنّ قيودَ امتناع التأليف بين بعض الأصوات تحدّ من عددِ تلك الوجوه في الاستعمال وخاصة في تقليبات الرباعي والخماسي، فإن قاعدة "المهمَل" و"المستعمل" التي طبقها الخليل في التمييز بين التقليبات تُظْهرُ أن أغلبَ المركبات الصوتية الرباعية والخماسية الناتجة عن التقليب ليس لها امتداد في الاستعمال، وهي لذلك تكون مُعطّلة ولا تتولّد عنها جذوع رئيسية تكون أصولا للاشتقاق. ولذلك فإنّ أكثرَ التقليبات ورودا وتواترا في الاستعمال هي تقليبات الثلاثي، وهي الجذور الثلاثية. ومن أمثلة هذا النّوع في باب "العين والجيم والدال" -ع ج د√- مداخِلُ أربعةٌ هي "عجد" و"جعد" و"جدع" و"دعج"، وأمّا "دجع" و"عدج" فمُهملان[22].
- والنوع الثّالث : هو "المدخل الفَرْعيّ"، وهو ما يثبته المؤلّف تحت المداخل الرؤوس أو الرئيسية من مشتقات -أو غيْر مشتقات أحيانا مثل المقترضات من اللغات الأعجمية- بعد إدخال الزوائد الصرفيّة الاشتقاقيّة عليها، أي بإضافة السّوابق والدّواخل واللواحق إليها؛ فالمدخل الرئيسيّ "عهد" مثلا قد تفرّعَت عنه سبعةُ مداخل[23]، أرْبعةٌ اسمية ومدخلان وصْفيّان ومدخل واحدٌ فعليّ، وهي -على التوالي- "العَهْدُ" و"المعْهَد" و"المُعَاهَدُ" و"العُهْدَةُ" و"العَهِيدُ" و"التّعَاهُدُ" و"أعْهَدَ".

• والنوع الرّابع : هو "المدخَل الثانويّ"، فأنّ المدخل الفَرعيّ نفْسَه قد يشْتمل على "مدخل ثانوي" أو أكثر إذا كان من المشترك الدّلاليّ، فإنّ لكلّ معْنى مدخَله الثانوي الخاص به الذي يتكرّر فيه ذكر المفردة المفسّرة. ومثال ذلك أن "العهدَ" ترد في أربعة مداخل ثانوية تبَعا للمعاني الأربعة التي يحملها : فـ"العهدُ الوصيّةُ والتقدّمُ إلى صاحبك بشيء (...)، والعَهْدُ المَوْثِقُ وجمعُه عهُود، والعهْدُ الالتقاءُ والإلمام (...)، والعهْدُ المنزلُ الذي لا يكادُ القومُ إذا انتأوْا عنه رَجعُوا إليه"[24]، على أنّ المفردة قد وردت في مدخل ثانوي خامس في غير موضعه إذ فصل بينه وبين المداخل الثانوية المتقدمة مدخلٌ فرعيّ هو "المُعْهَدُ"، و"العهْدُ" في هذا المدخل الثانويّ الخامس هو "العهْدُ من المطر : أن يكون الوسميّ قد مضى قبلَه وهو الوَليُّ، ثم يَرْدِفُه الربيعُ بمطرٍ يدرك آخرَه بلَلُ أوّلِه ونُدْوَتِه، ويُجْمَع على عِهَادٍ"[25].

وإذا أردنا أن نتصور بنية ما للنص القامُوسيّ في كتاب العين انطلاقا مما سبق ذكره يمكن أن نستنتج أن النص المعجمي في بنيته العامة قائم على العناصر التالية :

(1)- مدخلٌ رئيس هو "الجذر الأمّ" الذي يمثل عنوان الباب ضمن "كتُبِ" كتاب العين، ومثاله "باب العين والهاء والدال".

(2)- مدخلٌ رئيسيّ - أو "مدخل رأسٌ" هو الجذر الحقيقي الذي يتبع المدخل الرئيس تبعية صوتية خالصة بحسب ما يسمح به قانون التتابع الذي اعتمده الخليل في ترتيب مادة قاموسه المعجمية.

(3)- مداخلُ فرعيّة هي المشتقاتُ التي تفَسّرُ وتكوّن مادة القاموس اللغوية الأصلية، وهي ذات انتماءات مقولية مختلفة ولكن أغلب المقولات ذكرا هي الاسم والفعل والصفة.

(4)- مداخلُ ثانوية تكوّنها الاستعمالات المختلفةُ للمدخل الفرعي الواحد إذا كان من المشترك الدلالي وتعدّدت معانيه. لكنّ بنية النصّ القاموسيّ تشتمِل على عناصرَ أخرى تردُ في النوعين الثالث والرابع من المداخل وتكوّن معا بنيةَ النصّ القاموسي.

2. في بنية النّصّ القاموسيّ وقضاياها

تثير هذه المقاربة بمختلف وجوهها جملةً من القضايا تؤثر كلها في بنية النص القاموسي، منها ما يتعلقُ بترتيب المداخل الفرعية في حدّ ذاتها من حيث اعتمادُ المقولات المعجمية في التتابع (مثل تَسبيق الاسْم على الفعل أو الفعل على الاسم، ومنزلة الصفة والظرف والأداة في الترتيب)؛ واعتمادِ التجريدِ والزيادة في تتابع أجزاء المقولة الواحدة؛ ومعالجةِ الرباعي والشبيه بالرباعي؛ ومعالجةِ المقترضات من اللغات الأعجمية التي قد تُرجَعُ إلى أصول اشتقاقية عربيّة هي في الحقيقة أصولٌ وهميّة؛ ومنها ما يتعلق بترتيب استعمالات المدخل الفرعيّ الواحد باعتمادِ المعنى في تتابعها (مثل تسبيق المعنى الحقيقي على المعنى المجازي)؛ ومنها ما يتعلق بالتعريف من حيث ربطُ المداخلِ الفرعية بالمعنى الأصليّ الذي يحمله المدخلُ الرئيسيّ وأثرُ ذلك في استيفاء معنى المدخل الفرعيّ (مثل نظرية الأصلِ والفرَع في كتاب المقاييس لابن فارس)، أو المعنى الذي تحملُهُ الصيغةُ الصرفيّة عند نشوان الحميري، أو المعنى الذي تحمله "المنْحوتاتُ" عند أحمد بن فارس في كتاب المقاييس، والمنحوتُ عنده هو ما زادَ على ثلاثةِ حروفٍ أصولٍ، وقد خصّ هذه المنحوتاتِ بباب في آخرِ كلّ حرف[26]؛ ومنها أثرُ هذه القضايا في القواميسِ العربية الحديثة التي يغلبُ على أكثرها أخْذُ اللاحقِ عن السّابق، وأخذُ المحدَثِ عن القديم، دون أن يُفَكّر القامُوسيّون العربُ المعاصرُون في القضايا الصرفيّة الاشتقاقيّة العويصة التي تعتَرِض التأليفَ القامُوسيّ، ودون أن يَسعَوْا إلى إيجادِ حلول لسانيّة تتعلق بمادة التأليف القاموسي ومنهجه، على أن للقضايا التي أشرنا إليها صلة وثيقة بركنين أساسيين في التأليف القاموسي هما ركْنا "الترتيب" و"التعريف"، وهما يؤثران في بنية النص القاموسي ويتأثران بها لا محالة لكنهما لا يمثلان بنية النص نفسها.

والذي يعنينا في مقامنا هذا هو تبيّنُ البنية العامّة التي يمكن أن يكون عليها النصّ القاموسيّ اعتمادًا على أنْواع المداخل التي يشتَملُ عليها، وهي

بنيةُ النصّ القاموسيِّ من حيث العناصرُ اللسانيةُ المكونةُ له. ولا شك أن عدد العناصر المكونة للنص القاموسي تختلف باختلاف المقاربة اللسانية التي تُتَّبَع في التأليف، وقد ذكرنا من قبل أن من المقاربات المطبقة حديثا في التأليف القاموسي المقاربة الآنية والمقاربة الزمانية، وقد ارتبط تطبيقهما بظهور جملة من العناصر المكونة للنص القاموسي قد نظّر لها من قبلُ اللسانيون الفرنسيون، فقد عُنِي بها جان دوبوا (Jean Dubois) وكلود دوبوا (Claude Dubois) في كتابهما "مُقَدمةٌ للقاموسيّة : القامُوس"[27] وذكرا منها ثمانيةً تكوِّن النصّ في القامُوس اللغويّ العامّ، وهي تصبحُ تسعة في القامُوس الموسُوعي (dictionnaire encyclopédique). وهذه العناصر هي :

(1)- المدخَلُ وقد سمياه "اللفظ" (mot) و"العنوان" (adresse).

(2)- النطق (prononciation) وتمثله كتابةُ المدخل كتابةً صوتية.

(3)- المقْوَلة النّحْوية (categorisation grammaticale) ويشتملُ على تعيين الانتمَاء المقولي للمفردة المدخل بالإشارة إلى المقولة المعجميّة -وليست المقولة النحوية- التي تنتمي إليها.

(4)- التأصيلُ (étymologie) المعجميّ الذي يهتم فيه مؤلف القاموس بذكر الأصل الذي انحدرت منه المفردة المدخلُ سواء كانَ أصلا اشتقاقيا من اللغة الموصوفة ذاتها أو كان أصْلاً اقتراضيا متأتّيًا من لغة أخرى.

(5)- التعريفُ (définition)، ويقصدان به في الحقيقة "الشّرح" او "التفسير"، أي ذكر المعنى الواحدِ من المعاني التي تدلّ عليها المفردة المدخل، وعادة ما تذكر المعاني المختلفة مرقّمَة متتالية.

(6)- الأمثلة (exemples) التي قد تكون أمثلةً مصنوعة وقد تكون شواهدَ مقتبسة من نصوص حقيقية، يؤتى بها عادة لتوضيح المعنى.

(7)- العباراتُ الاصطلاحيّة (idiotismes)، أو العباراتُ المسْكوكة (expressions stéréotypées)، وهما يعدّانها "مداخلَ فرعية" (sous-entrées)، وهي تُفَسَّرُ لأنها تمثلُ عادة اسْتعمَالاتٍ خاصةً بين أفرادِ الجماعة اللغوية.

(8)- المعاني الوظيفيّة (sens fonctionnels)، وهي تكوّن -مثل العبارات الاصطلاحية- مداخل فرعية لأنها حاملةٌ لدلالات خاصة لمصطلحات منتميَة في لغةٍ ما إلى علْم من العلوم أو تقنية من التقنيات.

(9)- فإذا كان القاموسُ موسوعيّا أضيف إلى العناصر الثمانية عنصرٌ تاسعٌ هو "الموسوعية" بذكر معلوماتٍ موسوعيّة حول الشيء المعرّفِ لا يتطلبها عادة التعريفُ اللغويّ المحض.

ويمكن أن تكون هذه العناصر أكثرَ إذا أضيفت إلى المقاربتين المقاربة الاشتقاقية، وقد اجتمعت المقاربات الثلاث في "قاموس اللغة الفرنسية : لكسيس" (Larousse de la langue française Lexis) الذي تُذْكَرُ فيه المشتقّاتُ مداخلَ فرعيّة تحت المدخل الرئيسي، وبما أن المدخل الفرعيّ ليس المدخل الرئيسي نفسه بل هو في الغالب وحدة معجمية بسيطة مكتسبة لخصائصها التمييزية التي تختلف بها عن المدخل الرئيسيّ، فإن المعلومات المذكورة مع المدخل الرئيسي والمكوّنة لعناصر النصّ الخاصّ به تتكرّر في الغالب مع المداخل الفرعية : ولذلك فإن المدخل الرئيسي الواحد يصبح مشتملا على مجموعة من النصوص القاموسية بحسب عدد المداخل الفرعية -أي مشتقاته- المندرجة تحته. وينتج عن هذه الظاهرة أن تصبح بنية النص القاموسي في القاموس الحديث الذي تُطبّق فيه المقاربة الاشتقاقية "بنية معقّدة" (structure complexe) لتكوّن النص العامّ من مجموعة نصوص فرعية لكلّ منها عناصره المكوّنة له. وإذا كانت هذه العناصر قد تبلغ في المدخل الواحد الثلاثة عشر عنصرا مثلمَا بيّنّاه في بحث لنا سابقٍ[28]، فإنّ درجة التعقيد في البنية العامة للنص القاموسي الناتج عن تطبيق المقاربة الاشتقاقية قد تصبح عالية جدّا.

ولكنّ الذي يعنينا من هذه العناصرِ والبنية المعقدة التي تنشأ عنها هو توفّرها في النصّ القاموسيّ في القاموس العربي. وليس من المنطقيّ أن نبحثَ عنها في كتابِ العين للخليل بن أحمد لأن هذه العناصر تعتبرُ وليدة تطوّر النظرياتِ اللسانية الحديثةِ وتأثيراتها في التأليفِ القاموسي.

فإذا نظرْنا في قاموسٍ عربي حديثٍ مشهورٍ مثل "المعجم الوسيط" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة لاحظنا أن تأثير تطبيق المقاربة الاشتقاقية يكاد ينحصر في تفريع المدخل الرئيسي إلى مداخل فرعية هي المشتقات التي قد تتعدّد فيطول بتعددها النص القاموسي، لكن دون أن يخرج عن بساطته، وقد تقلّ فيقصرُ بها النصّ القاموسيّ ويكون بسيطا بطبيعته، والبساطة في كلتا الحالتيْن ناتجة في الغالب عن أمرين :

- الأولُ هو النقصُ الظاهر في عددِ العناصر لأن العنصرَ الوحيدَ المتواترَ المغلّب هو "تحديدُ الدلالة" الذي يوافق في العناصرِ التي سبق ذكرها "التعريف"، وهذه الغلبةُ ناتجةٌ عن مفهوم غير واضح للتعريف اللغويّ إذ يكاد مؤلّفو القواميس العربية يقصرونَه على "الشّرح" أو "التفْسير"، وقد يذكرُ مع الشّرح عنصرانِ آخَران هما "المقْولَة النحْويّة"، مع الأسْماء، وهي تشملُ في الوسيط مقولة الجنس من حيثُ التذكيرُ والتأنيثُ، ومقولةَ العدد من حيث الجمعُ خاصة؛ و"الشواهد" أو "الأمثلةُ" التي قد تكونُ شواهدَ نصية وخاصة من الشعر والقرآن الكريم والحديث النبوي.
- والأمر الملاحظُ الثاني هو عدمُ تواتر ذكر العنصريْن المذكوريْن -المقولة النحوية والشواهد -أيضا إذ قد يُقْتَصَرُ على الشرح أو التفسيرِ لأنه يُعَدّ الغاية الأساسيّة من تأليفِ القاموس[29].

خاتمة

النص القاموسي -الذي يقابل المصطلح الفرنسي- يرتبط بمفهوم حديث قد ولد في اللسانيات القاموسية الحديثة نتيجة تطور النظرة إلى التأليف القاموسي، إذ أصبح اليوم تطبيقا لنظرية لسانية وليس مجرد "صناعة" أو عمل بسيط يكفي للقيام به التعويلُ على القواميسِ السابقة للنقل منها والاعتماد الكلي عليها. وقد تطور النظر إلى القاموس فأصبح "امتدادا للمعجم" و"تمثيلاً له"، وهذه العلاقة الوثيقة بين المعجم والقاموس قد أدت بطبيعتها إلى ظهور مفاهيم نظرية جديدة مثل "بنية التعريف الشكلية" و"بنية

التعريف الدلالية" و"العناصر المساعدة في التعريف" و"المقاربة الآنية في التأليف القاموسي" و"المقاربة الزمانية" فيه.

وهذا التطور النظري في التعامل مع التأليف القاموسي قد أدّى إلى جملة من النتائج من أهمها تطبيق المقاربات اللسانية النظرية في التأليف القاموسي، ومنها المقاربتان الآنية والزمانية والمقاربة الاشتقاقية التي عرفتها القاموسية العربية منذ وقت بعيد، وتطور مفهوم "المدخل القاموسي" بانتقاله من مجرد "مادة" يمثلها الجذر في القاموسية العربية أو "لفظ" بسيط في القاموسية الغربية إلى اعتباره "دليلا" لغويا له مكوّن شكلي ومكوّن دلاليّ يَدْخُلُ بهما القاموسَ ويُحْوِجان إلى أن يُعرّفَ بهما معا ليكون التعريف بالمدخل شاملاً، بل إن هذا الدليل اللغوي قد أصبح "كيانا مُعقّدا مجرّدا" قد وُجِدَ في اللغة ثم في المعجم بعد أن اشتركت في تكوينه مجموعة من المكوّنات واكتسبَ مجموعةً من الخصائص التي تحقّق له التفرّد في اللغة وفي المعجم؛ وليس المكوّن الدلالي -على أهميته- إلاّ أحَد المكوّنات فيه، كما أنّ الخصيصة الدلالية ليست إلاّ إحدى الخصائص التمييزية فيه، ولذلك أصبحَ مفهوم التعريف أوسع وأشمل وأصبح النص القاموسي لذلك نصا متعدّد العناصر.

وهذا الذي نقوله لا يعيه ويفهمه القاموسي إلاّ إذا كان معجميا لسانيّا، وبقدر توفّر صفتي "المعجمي" و"اللساني" فيه يكون حظّه من التوفيق في التأليف القاموسي، وإلاّ كان جمّاعةً (compilateur) مقلّدا عالةً على أعمال السابقين وكان النص القاموسي عنده نصا عشوائيّا لا بَنْيَنَةَ فيه.

التعريف الدلالية" و"العناصر المساعدة في التعريف" و"المقاربة الآنية في التأليف القاموسي" و"المقاربة الزمانية" فيه.

وهذا التطور النظري في التعامل مع التأليف القاموسي قد أدّى إلى جملة من النتائج من أهمها تطبيق المقاربات اللسانية النظرية في التأليف القاموسي، ومنها المقاربتان الآنية والزمانية والمقاربة الاشتقاقية التي عرفتها القاموسية العربية منذ وقت بعيد، وتطور مفهوم "المدخل القاموسي" بانتقاله من مجرد "مادة" يمثلها الجذر في القاموسية العربية أو "لفظ" بسيط في القاموسية الغربية إلى اعتباره "دليلا" لغويا له مكوّن شكلي ومكوّن دلاليّ يَدْخُلُ بهما القاموسَ ويُحْوِجان إلى أن يُعرّفَ بهما معا ليكون التعريف بالمدخل شاملاً، بل إن هذا الدليل اللغوي قد أصبح "كيانا مُعقّدا مجرّدا" قد وُجِدَ في اللغة ثم في المعجم بعد أن اشتركت في تكوينه مجموعة من المكوّنات واكتسبَ مجموعةً من الخصائص التي تحقّق له التفرّد في اللغة وفي المعجم؛ وليس المكوّن الدلالي -على أهميته- إلاّ أحَد المكوّنات فيه، كما أنّ الخصيصة الدلالية ليست إلاّ إحدى الخصائص التمييزية فيه، ولذلك أصبحَ مفهوم التعريف أوسع وأشمل وأصبح النص القاموسي لذلك نصا متعدّد العناصر.

وهذا الذي نقوله لا يعيه ويفهمه القاموسي إلاّ إذا كان معجميا لسانيّا، وبقدر توفّر صفتي "المعجمي" و"اللساني" فيه يكون حظّه من التوفيق في التأليف القاموسي، وإلاّ كان جمّاعةً (compilateur) مقلّدا عالةً على أعمال السابقين وكان النص القاموسي عنده نصا عشوائيّا لا بَنْيَنَةَ فيه.

الإحالات

1- ينظر حول المقاربتين وتطبيقاتهما في القاموسية الفرنسية الحديثة :

- Jean et Claude Dubois, 1971. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. Paris : Librairie Larousse. pp. 66 - 83 (Chap. VIII : Homonymie et polysémie); Jacqueline Picoche, 1977. Précis de lexicologie française. Paris: éd. F. Nathan. pp. 70 - 89 ; Alain Rey, Alain, 2008. De l'artisanat des dictionnaires à une science du mot. Images et modèles. Paris : Armand Colin. pp. 26 - 30, 114 - 118.

- على أن التفريق بين "الاشتراك اللفظي" (homonymie) الذي تقوم عليه المقاربة الآنية في القاموس و"الاشتراك الدلالي" (polysémie) الذي تقوم عليه المقاربة الزمانية لا يخلو من غموض واضطراب، وقد خصصنا ذلك بالبحث للتفريق بينهما. - ينظر :

- Ibrahim Ben Mrad, 2011. "Homonymie, polysémie et critères de distinction". In Orfali Bilal (ed.), 2011. In the Shadow of Arabic : The Centrality of Language to Arabic Culture. Studies presented to Ramzi Baalbaki. Leiden: E. J. Brill. pp. 325 - 338

2- Jean et Claude Dubois, 1979. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. op. cit.

3- Jacqueline Picoche, 1977. Précis de lexicologie française. op. cit.

4- ينظر حول عمليات الاشتقاق الممكنة في العربية والقواعد التي تُطبّق فيها : إبراهيم بن مراد، مسائل في المعجم، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1997، ص ص 85 - 91؛ نفسه : مقدمة لنظرية المعجم، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1997، ص ص 146 - 153.

5- ينظر حول المسألة والقضايا التي تثيرها في القاموس في منهج الترتيب خاصة إبراهيم بن مراد، "المعالجة القاموسية للوحدات المعجمية العربية المركبة والمعقدة والعبارية : نظرات في منهج الترتيب"، دراسات وأبحاث معجمية، تراثية وأدبية، مهداة إلى عبد الغني أبو العزم، تنسيق فيصل الشرايبي وآخرين. الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - عين الشق، جامعة الحسن الثاني، ص ص 19 - 44.

6- ينظر حول هذا الصنف من القواميس :

Jacqueline Picoche, 1977. Précis de lexicologie française. op. cit. pp. 109 - 111.

وقد ذكرت بعض القواميس الفرنسية التماثلية وأحالت إلى بعض المراجع.

7- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، الغريب المصنف، تحقيق المختار العبيدي، قرطاج- تونس : بيت الحكمة 1989 - 1990 (3 أجزاء)، 1/29 - 46؛ وهذا الباب هو في الحقيقة جزء من "كتاب" هو "كتاب خلق الإنسان" كما يدل على ذلك التقسيم الوارد في عمل رمضان عبد التواب، الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم ، القاهرة : مكتبة

الثقافة الدينية، 1989، وقد حقق في آخره "الكتاب" الأول منه وهو "كتاب خلق الإنسان"، ص ص 261 - 398. والكتاب كله مقسم إذن إلى "كتب" - مثل "كتاب خلق الإنسان" و"كتاب النساء" و"كتاب اللباس" و"كتاب الأطعمة" و"كتاب الأمراض"، إلخ، وهذه "الكتب" مقسّمة بدورها إلى "أبواب" هي المشتملة على الوحدات المعجمية المكونة للمداخل المفسّرة، والأبواب الستة الأولى من جملة سبعة وخمسين بابا في تحقيق المختار العبيدي- هي "باب تسمية خلق الإنسان ونعوته" (ص ص 29 - 46)، و"باب نعوت خلق الإنسان" (ص ص 46 - 52)، و"باب نعوت دمع العين وغؤورها وضعفها وغير ذلك" (ص ص 53 - 56)، و"باب أسماء النفَس" (ص ص 56 - 57)، و"باب نعوت الطوال من الناس" (ص ص 58 - 59)، و"باب نعوت الطوال مع الدقّة والعِظَم" (ص ص 59 - 60).

8- المرجع نفسه، 30/1.

9- المرجع نفسه، 30/1.

10- المرجع نفسه، 31/1.

11- قد حللنا هذه الخصائص من قبل ومثلنا لها في أكثر من بحث -ينظر مثلا : إبراهيم ابن مراد، مسائل في المعجم، ص ص 32 - 43؛ مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 106 - 114؛ من المعجم إلى القاموس، ص ص 18 - 22، 85 - 89.

12- الانتماء المقولي (appartenance catégorielle) يعني أن تنتمي الوحدة المعجمية البسيطة إلى إحدى المقولات المعجمية (catégories lexicales) التي تسمّى في الأدبيات اللغوية التقليدية "أقسام الكلام" (Parties du discours = Parts of Speech)، وهي ما زالت محل خلافٍ حول عددها وطبيعتها ، فإن هناك من يصل بها إلى ثمانية أقسام - هي الاسم (nom) والصفة (adjectif) والفعل (verbe) والظرف أو الحال (adverbe) والمحدّد (déterminant) والضمير (pronom) والجارّ -أو حرف الجرّ- (préposition) والعاطف أو أداة العطف (conjonction). - ينظر مثلا :

- Franck Neveu, 2011. Dictionnaire des sciences du langage. 2[eme] éd. Paris: Armand Colin. p. 265.

- وهناك من يحصرها في أربعة فقط هي الاسم والصّفة والفعل والظّرف -مع ميل إلى إدراجه ضمن الصّفة- وإخراج الحروف (Prepositions) من المقولات المعجميّة وإدراجها ضمن المقولات الوظيفيّة (Functional Categories) - ينظر خاصّة :

- Mark Baker, 2003. Lexical Categories, Verbs, Nouns and Adjectives, Cambridge : Cambridge University Press.

ورغم استقلال الصفة عن الاسم والفعل في اللسانيات الحديثة فإن الكثيرين من نحاتنا العرب المحدثين يلحون إلحاحا غريبا على إدراج الصفة ضمن مقولة الاسم

ويعتبرون الصفة اسما على مذهب النحاة القدامى، وهم لا يرفضون وجود الصفة مقولة معجمية في اللغات الأوروبية ولكن الصفات في هذه اللغات إذا ترجمت إلى العربية تنقلب أسماءً ! وهذا الفصل بين الصفة والاسم يقلل من أهمية الانتماء المقولي أحيانا باعتباره خصيصة تمييزية. ونرى أن المقولات المعجمية خمس هي الاسم والفعل والصفة والظرف والأداة، وتشمل مقولة الأداة ما سمّي في التقسيم الثُّماني بالمحدّد والجار والعاطف، ومنطلقنا في التصنيف منطلق معجمي -فالمقولات كما نراها مقولات معجمية وليست مقولات نحوية - وليس منطلقا تركيبيا نحويّا.

- ينظر: إبراهيم ابن مراد، مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 107 - 108.

13- أبو الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1981 (6 أجزاء)، 152/1.

14- المرجع نفسه، 75/1.

15- المرجع نفسه، 53/1.

16- المرجع نفسه، 89/1.

17- المرجع نفسه، 64/1.

18- المرجع نفسه، 64/1 - 65.

19- نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق ك. و. ستروستين (K. V. Zetterstéen)، ليدن : بريل، 1951، 54/1 - 57.

20- ينظر: إبراهيم ابن مراد، في النظرية المعجمية العربية، مجلة المعجمية، العدد 7، 1991، ص ص 5 - 10، 7، والتعليق (2).

21- المرجع نفسه، ص 7.

22- الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988، 218/1 - 220.

23- المرجع نفسه، 1/ 102 - 103.

24- المرجع نفسه، 102/1.

25- المرجع نفسه، 102/1.

26- ينظر فيه في "كتاب الباء" مثلا "باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله باء" -المقاييس، 328/1 - 336؛ وهو يرى "أنّ للرباعي والخماسي مذهبا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوتٌ، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا" - 328/1 - 329. ومن أمثلة هذا النحت مفردة "بُحْتُرٌ" : وهو القصير المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين، من الباء والتاء والراء، وهو من بترْتُه فبُتِرَ، كأنه حرم الطولَ فبُتِر خَلْقُه؛ والكلمة الثانية

الحاء والتاء والراء، هو من حَتَرْتُ وأَحْتَرْتُ، وذلك أن لا تُفْضِلَ على أحد. يقال أَحْتَرَ على نفسه وعياله أي ضيّق عليهم، فقد صار هذا المعنى في القصير لأنه لم يُعْطَ ما أُعْطِيَهُ الطويلُ" - 1/329، ولا يخفى ما في هذا المذهب من التعسف على اللغة نتيجة قيام تفسير الظاهرة على التخمين.

27- ينظر :

Jean et Claude Dubois, 1971. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. op. cit. pp. 39 - 41.

28- ينظر : إبراهيم ابن مراد، من المعجم إلى القاموس، تونس : دار الغرب الإسلامي، 2010، ص ص 164 - 170. (بحث : "من إشكالات التعريف في القاموس الحديث : تعريف أسماء المواليد في القاموس اللغوي العام") .

29- ينظر تتبع لعناصر النص القاموسي في ثلاثة من القواميس العربية الحديثة هي المعجم الوسيط والمنجد في اللغة العربية المعاصرة والمعجم العربي الأساسي في بحثنا "صلة التأليف القاموسي العربي بالنظرية المعجمية" في المرجع السابق، ص ص 121 - 133.

مراجع البحث

أ- باللغة العربيّة

- أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي، الغريب المصنف، تحقيق المختار العبيدي، قرطاج - تونس: بيت الحكمة، 1989-1990 (3 أجزاء).
- ابن مراد، إبراهيم، "في النظرية المعجمية العربية"، مجلة المعجمية، العدد 7، 1991، ص ص 5-10.
- ـــــ، مسائل في المعجم، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1997.
- ـــــ، مقدمة لنظرية المعجم، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1997.
- ـــــ، "المعالجة القاموسية للوحدات المعجمية العربية المركبة والمعقدة والعبارية : نظرات في منهج الترتيب"، دراسات وأبحاث معجمية، تراثية وأدبية، مهداة إلى عبد الغني أبو العزم، تنسيق فيصل الشرايبي وآخرين، الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - عين الشق، جامعة الحسن الثاني، 2009، ص ص 19-44.
- ـــــ، من المعجم إلى القاموس، تونس : دار الغرب الإسلامي، 2010.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1981 (6 أجزاء).
- الحميري، نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق ك. و. ستروستين (K. V. Zetterstéen)، ليدن : بريل، 1951.
- الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1988، (8 أجزاء).
- رمضان، عبد التواب، الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، 1989.

ب- باللغة الأجنبية

- Baker, Mark, 2003. Lexical Categories, Verbs, Nouns and Adjectives. Cambridge : Cambridge University Press.
- Ben Mrad, Ibrahim, 2011. "Homonymie, polysémie et critères de distinction". In : Orfali Bilal (ed.), 2011. In the Shadow of Arabic : The Centrality of Language to Arabic Culture. Studies presented to Ramzi Baalbaki. Leinden: E. J. Brill. pp. 325 - 338.
- Dubois, Jean et Claude, 1971. Introduction à la lexicographie: le dictionnaire. Paris: Librairie Larousse.

- Lexis: Larousse de la langue française. Sous la direction de Jean Dubois. Paris: Librairie Larousse. 1979.
- Neveu, Franck, 2011. Dictionnaire des sciences du langage. 2^{eme} éd. Paris: Armand Colin.
- Picoche, Jacqueline, 1977. Précis de lexicologie française. Paris: éd. F. Nathan.
- ___, Dictionnaire étymologique du français: les usuels du Robert. Le Robert. Paris. 1979.
- Rey, Alain, 2008. De l'artisanat des dictionnaires à une science du mot. Images et modèles. Paris: Armand Colin.